﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الشّعراء: 18 - 19]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

الرَّبط بين دعوة فرعون إلى الحقِّ، وردّه المُتمادي في الباطل

لمّا بيّن النَّظم الجليل ما أُمر به موسى من تبليغ فرعون وقومه، وامتثالَه وأخاه هارون ﷺ لأمر الله؛ أَتْبَعَهُ في هذه الآية ببيان ما أجاب به فرعون على ذلك التّبليغ[1]، ممتنًّا عليه بإحسان التّربية منذ كان وليدًا قائلًا له: كيف تجيء إلينا بهذه الجرأة وتطلب إلينا هذا الطّلب الغريب من مثلك إذ هو من خاصّة شؤوننا وصلاحيّاتنا، ومن بعض سلطاننا في رعيَّتِنا؟ ثمّ كيف تُحدّثك نفسك بأن تتطاول علينا وتتجرّأ على مقامنا وتتصوّر أنّك ستحظى بالنّجاة من عقوبتنا بعدما قمتَ بارتكاب جريمة القتل الشّنعاء لأحد رعايانا؟[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نُرَبِّكَ﴾: (ربى) أصلٌ واحد يدلُّ على الزّيادَةُ والنَّماءُ والعُلوُّ[3]، يُقالُ: رَبَوتُ في بَني فلان ورَبيتُ؛ أيْ: نشأتُ فيهم[4]، وربَّيتُهُ تربيةً وتَربَّيتُهُ؛ أيْ: غَذَوْتُه[5]، والتَّربية: إنشاء الشَّيء حالًا فحالًا إلى حدِّ التَّمام، هذا لكلِّ ما ينمي كالولد والزَّرع ونحوه[6]، والمُراد بالتَّربيةُ في الآية الكريمة: كفالَةُ فرعون لموسى وتربيته له منذ كان رضيعًا.

2) ﴿وَلِيدًا﴾: (ولد) أصلُ الكلِمَة من التَّوَلُّدِ؛ وهو: نشأَةُ شَيءٍ عن شيءٍ آخرَ، يُقالُ: تَولَّدَ الشَّيءُ عن الشَّيءِ؛ أيْ: نشأَ وصدرَ عنه،

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 14/ 20.
(2) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 10/ 78.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ربى).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (ربى).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ربى).
(6) الرّاغب، المفردات: (رب).

الوَلَدُ: المولودُ، سواءً كان ذَكَرًا أو أُنْثَى[1]، والوَليدُ يُقال لِمَنْ قرُب عهدُه بالولادَةِ، وإن كان في الأصل يصحُّ لِمَنْ قرُبَ عهدُهُ أو بَعُد، فإذا كَبِر الوَلَدُ سقط عنه هذا الاسم، وجمعه: وِلْدانٌ، والوَليدَةُ مختصّة بالإماء في عامّة كلامهم[2]، والوَليدُ: الطِّفْلُ مِنْ وقْتِ وِلادَتِه وما يُقارِبُها، فإذا نَمَى لَم يُسَمَّ وليدًا وسُمّي طِفْلًا، ويَعْني بِذَلِكَ التِقاطَهُ مِنْ نَهْرِ النّيلِ[3].

3) ﴿وَلَبِثْتَ﴾: (لبث) أصلٌ يَدُلُّ على تَمَكُّثٍ وانتظارٍ واستبطاءٍ، قيلَ: اللَّبْثُ الاسْمُ، واللُّبْثُ بالضَّمِّ المصدرُ[4]، يُقالُ: لَبِثَ بالمكانِ: أقام به مُلازمًا له، وأَلْبِثْ عن فلانٍ؛ أيْ: انْتَظِرْهُ حَتّى يُبْدِيَ انْتِظارُكَ إيّاه خَطَأَ رَأْيِه[5]، واسْتَلْبَثْتُهُ إذا اسْتَبْطَأْتَهُ؛ وهوَ استَفْعَلَ من اللَّبْثِ؛ وهوَ الإبطاءُ والتَّأَخُّر[6]؛ والمقصود باللَّبْثِ في الآية: الإقامةُ في المكانِ مُدَّةً.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

قال فِرعَونُ لموسى: ألم نَقُم بتربيتِك منذُ كنتَ صَغيرًا في المَهدِ في بيوتنا ولم نقتلك في جملة من قتلنا وأنعمنا عليك بنعمنا ردحًا من الزَّمن؟ أفتُقابل الإحسان بكفران النِّعمة وتواجهنا بمثل تلك المقالة؟ وقتلْتَ رجُلًا منّا مِن القِبْطِ، والحالُ أنَّك من الجاحِدينَ لنِعمَتِنا عليك؛ حيث جازَيْتَنا على تَربيتِنا لك بقَتلِ رجُلٍ من رعايانا[7].

الإنعامُ على المُرسَل لا يمنعه من مواجهة الباطل وتحدّي الطّغيان

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ فصلِ الجملة عن سابقتها:

فصلَ النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ

ردُّ المدعوِّ بصَلَفٍ وطغيانٍ على ما بلَّغهم به رسولا الرّحمن

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (ولد).
(2) الخليل، العين، وابن عبّاد، المحيط في اللغة، والرّاغب، المفردات: (ولد).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 111.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (لبث).
(5) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (لبث).
(6) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (لبث).
(7) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 556، و557، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 137، والمراغيّ، تفسير المراغي: 19/ 51.

فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾، وصدّرها بفعل القول لحكاية ما قاله فرعون؛ لأنّها مُستأنَفَةٌ استئنافًا بيانيًّا؛ فلمّا كان من المعلوم أنّهما قد شرعا فيما أمرهما الله تعالى به من التّوجّه إلى فرعون وقومه؛ فأتياه وقالا له ما أُمرا به؛ تشوَّفت النَّفس إلى معرفة جوابه لهما، فكأنّه قيل: فبماذا أجابهما؟ فجاءت الآية جوابًا عن ذلك السّؤال[1]، وقد أغنى تصدير الجملة بفعل القول عن وجود العاطف؛ لأنّها واردة في محاورة يُغني ارتباطها عن حروف العطف.

دلالة الاستفهام ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾:

مِنّة فرعون بنشأة موسى بينهم غايتُه نقض دعوته

استعمل النّظم الجليل الاستفهام في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ للتّقرير، والمقصود الإقرار بوقوع التّربية، وذلك يقتضي المحبّة والبرّ، فكأنّه رأى بدعوته إيّاه أنّه قد جحد حقّ التّربية[2]، والتّقدير: (إنّا قد ربّيناك، بحيث إنّك لا تستطيع إنكاره، فكيف لك أن تدعونا إلى دين جديد وترمينا بالكفر؟!).

نكتة اقتصار المخاطبة على موسى:

مخاطبةُ الأصل المُرسَل بالرّسالة توجِب خطابَ موسى وحدَه

حكى النَّظم الجليلُ اقتصارَ فرعون على مخاطبة موسى دون هارون ﷺ في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾، لأنّه علم من خطابهما أنّ موسى ﷺ هو الرّسول بالأصالة، وأنّ هارون ﷺ كان وزيرًا مُعينًا له على التّبليغ، فلم يشتغل بالكلام مع هارون[3]، كما أنّ خطاب الامتنان بالتّربية يشمل موسى دون هارون.

دلالةُ الإعراض عن التّكذيب إلى التّذكير بالنّعمة:

تذكيرُ الدّاعي بالإحسان إليه يُضعف عزيمته في التّبليغ

بيّن النّظمُ الجليل أنّ فرعون أعرض عن التّكذيب إلى التّذكير

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 14/ 20.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 111.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 110.

بالنّعمة في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾؛ فلم يشتغل بإبطال دعوة موسى ﷺ؛ بل عدل إلى تذكيره بإنعامهم عليه لإفحام موسى وكفّه عن الدّعوة، فلعلّه يتلعثم بتذكيره بتلك النّعمة، كما أنّ التّذكير بالنّعمة يحمل تمهيدًا لإيجاد سبب يتذرّع به إلى قصد السّوء بإعلانه كافرًا بنعمة الولاية والتّربية[1].

دلالة التّعبير بشبه الجملة ﴿فِينَا﴾:

التّربية في أكناف الملوك منحةٌ عظيمةٌ ونعمةٌ كبيرةٌ

عبّر النّظم الجليل بشبه الجملة ﴿فِينَا﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ للدّلالة على عظيم الإنعام؛ فالمراد أنّه قد تربّى في عائلة مَلِكِ مصر؛ فالامتنان بذلك أعظم من الامتنان بمُطلَق النّعمة.

دلالة الظَّرفيّة المجازيّة في قوله ﴿فِينَا﴾:

اللّبث سنين في القوم مظنّة ارتباط وتعلّق بهم

عبّر النّظم الجليل بحرف الجرّ (في) الدّالّ على الظّرفيّة في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾، والظّرفيّة هنا مجازيّة؛ فعبّر عن الحالّ وأراد المحلّ؛ والتّقدير: (في منازلنا)، وذلك بحذف المضاف[2].

سِرُّ إيثار التّعبير بـ ﴿وَلِيدًا﴾ دون (طفل):

يشير لفظ الوليد إلى التّذكير بمرحلةِ قُرب عهد ولادته

آثر النّظم الكريم التّعبير بلفظ الوليد دون الطّفل في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ وذلك للدّلالة على أنّ وقت التّربية لموسى ﷺ قد بدأ منذ ولادته وصغره؛ فهو قريب عهد بالولادة آنئذٍ[3].

دلالة (الواو) في: ﴿وَلَبِثْتَ﴾:

التّرهيب بالجُرم بعد التّذكير بالنّعمة جمعٌ للتّخويف مع التّذكير

عطف النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ على الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 110.
(2) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 60.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 238.

﴿فِينَا وَلِيدًا﴾، فكلا الجملتيْن من مقوله[1]؛ فعطف تذكيره بالإقامة في منازلهم على تذكيره بنعمة التّربية، إيغالًا في تهوين شأنه وتخويفه لإحداث تلعثمه وتردّده في إتمام الدّعوة.

سرّ التّعبير بلفظ (اللّبث) دون (المُكث):

إقـامـة مـوسى في مصر لَبثٌ لا مُكث

آثر النّظم الكريم التّعبير بلفظ اللّبث دون المُكث في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾، وذلك لما في اللّبث من دلالة الإقامة في المكان[2]، والمُكث يدلّ على الانتظار، وهو ليس المُراد في الآية.

دلالة تكرار شِبه الجملة: ﴿فِينَا﴾:

تأكيدُ الامتنانِ بـالإقـامـة في قـصـور المُـلْـكِ الحِسانِ

كرّر النّظم الجليل شِبه الجملة ﴿فِينَا﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ لتأكيد المكان الّذي بقي فيه؛ أيْ: قد تربّيت في منازلنا لا في غيرها، وقد أقمتَ معنا وتعزّزتَ بنا[3].

دلالةُ التّعبير بجمع ﴿سِنِينَ﴾:

كـثرة الـسّـنـين وطـولـها يُظهر طـول الإنـعـام ووفرة الامتنان

عبَّر النَّظم الجليل عن السِّنين بلفظ الجمع في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾، للدّلالة على أنّها سنين كثيرة، والإخبار عنها بأنّها كثيرة، لبيان كثرة الامتنان، فيكون بذلك قد قرّره بأنّ له على موسى من الحقّ ما ينبغي أن يمنعه من مواجهته بمثل هذا[4].

دلالة العطف بجملة: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ﴾:

ذِكْر الجناية بعد الإنـعـام دحضٌ للمَلمَح الثّاني بالأوّل

عطف النّظم الجليل الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ﴾ على جملة مقول القول[5] في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالَ أَلَمْ

(1) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 60.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لبث).
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 14/ 20.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 14/ 21.
(5) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 60.

﴿نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾، فبعد أن عدّد عليه ما أنعموا عليه به من التّربية والإيواء؛ وبَّخه بَما فعل من قتل المصريّ[1].

دلالة التّعبير بصيغة (فَعْلَةٌ):

الفَعْلَة المشهودة يبقى صداها يتردَّدُ على المدى

عبّر النّظم الجليل عن حادثة القتل بالمصدر الدّالّ على المرّة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ﴾ للدّلالة على أنَّها حادثة مشهورة بحيث لا يمكن التّغاضي عنها، وأنّهم ما زالوا يطالبون بحقّهم فيها.

دلالة إضافة الفعلة إلى ضمير موسى:

موسى هو مَن قضى على القبطيّ بالوَكْز

أضاف النّظم الجليل المصدرَ الدّالّ على المرّة إلى الضّمير العائد إلى موسى في قوله جلّ شأنه: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، للدّلالة على أنّ الفعلة ثابتة عليه؛ فهي معروفة بنسبتها إليه.

دلالةُ وصفِ الفَعْلَة بالاسم الموصول:

القتلُ أمرٌ بالغ الشّناعة وخطره شنيع

عبّر النّظم الجليل عن الفَعْلَة بالاسم الموصول في قوله جلّ شأنه: ﴿فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ﴾ دون التّصريح بها باسمها الخاصّ؛ وذلك لما في التّعبير عنها بأسلوب الإبهام من التّفخيم والتّعظيم لشأنها، فإنّ عدم التّصريح بالاسم يدلّ على التّعظيم، والتّعبير عن المعاني بالاسم الموصول دون الاسم الصّريح كثيرٌ شائع في القرآن الكريم[2].

دلالة (الواو) على الحال في السّياق:

لا يقترِفُ الجُرمَ بعد الإنعام إلّا جاحدٌ

افتتح النّظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ للدّلالة على الحال؛ أيْ: فعلتَ ذلك، والحال أنّك من الكافرين لنعمتي وحقّ تربيتي، وذلك لأنّك قتلتَ مَنْ يُنسب إليّ[3]، وهذا الحال يُفيد - كما عبّر فرعون واعتقد - أنّ موسى عند قتله

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 238.
(2) الهرري، حدائق الرّوح والرّيحان: 20/ 192.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 14/ 21.

المصريّ لم يراعِ حقّ التّربية والإيواء؛ بل كفر بالنّعمة؛ فعبّر فرعون بذلك عن إسقاط موسى عن رتبة الإصلاح؛ وبالتّالي انتفاء صدقه في دعوته.

دلالةُ التّعبير بالكفر:

جحودُ النّعمةِ مَنقصةٌ في الخُلُق والمروءة

عبَّر النَّظْم الجليل بلفظ الكفر في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ والمُراد به كفر النّعمة لا كفر العقيدة؛ لأنّه يرى أنّ موسى يجب أن يستشعر نفسه من قوم فرعون، فلا ينتصر لأحدٍ من بني قومه على أحدٍ من الفراعنة[1].

دلالة التّعبير بأنّه ﴿مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ دون (كافر):

الانتماء إلى فئةٍ دليلٌ على رسوخِ الوصف بالمنتمي لها

عَدلَ النّظمُ الجليل في حكاية ما قال فرعون لموسى بأنّه قد وصف موسى بكونه واحدًا من زمرة الكافرين في قوله جلّ شأنه: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ دون أن يقول له: وأنت كافرٌ؛ وذلك لأنّ نِسبةَ أحدٍ إلى فئةٍ يدلّ على شدّة اتّصاف الفرد بصفات تلك الفئة؛ فهو بلغ من شدّة الاتصاف مبلغًا يجعله جديرًا بأن ينتسب إليهم.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

اللّبْث والمكْث:

اللّبْثُ إقامةٌ في المكان، والمُكْث محض انتظار

المكث: أصله يدلّ على تَوَقُّفٍ وانْتِظارٍ، ومَكَثَ مَكْثًا ومُكْثًا، ورَجُلٌ مَكيثٌ: رَزينٌ غَيْرُ عَجولٍ، والتَّمَكُّثُ: الانْتِظارُ[2]، أمّا اللّبث فأصله يَدُلُّ على تَمَكُّثٍ، يُقالُ: لَبِثَ بِالمَكانِ: أَقامَ، قالَ اللّه تَعالَى: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: 35][3]؛ فعبّر في الآية باللّبث لأنّه أقام فيهم سنين طويلة.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 112.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مكث).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لبث).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»